مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 07/ العدد: 03 جوان (2021) - ص 357- 366

تفاعل النظريات اللسانية والنص الأدبي

Interaction of linguistic theories and literary text

عبد الحكيم سحالية
hakimsahalia@gmail.com
جامعة الشاذلي بن جديد الطارف/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/20 تاريخ القبول: 2020/11/19 تاريخ النشر: 2021/06/05

ملخص البحث

يهدف البحث إلى إبراز مدى تفاعل اللسانيات ونظرياتها الحديثة مع النص الأدبي، واستعمال الآليات المعاصرة لاستخراج كل ما فيه من معاني ودلالات، وإظهار الثورة اللسانية التي حدثت في صلب الدراسات النقدية التي تدور حوله، بعلميتها وموضوعيتها، وتوصل البحث إلى أن البحث اللغوي انتقل من المعيارية إلى العلمية والموضوعية وتطورت دراسة النص الأدبي من المناهج السياقية إلى المنهج الوصفي، فتنوعت دراسته بتنوع المقاربات اللسانية، فدرس وفق المقاربة البنوية، الأسلوبية، التحويلية، اللسانية النصية، والتداولية، وأعلنت وجود مقاربة معاصرة وهي المقاربة الإدراكية، وعليه انتقل البحث من التخصص إلى الدراسة الموسوعية.

الكلمات المفتاحية: تفاعل، النظريات، اللسانية، النص، الأدبي.

ABSTRACT:

The research aims to highlight the extent of the interactions of linguistics and their modern theories with the literary text, and to use contemporary mechanisms to extract all the meanings and implications of it, and to show the linguistic revolution that took place at the center of critical studies revolving around it, with its scientific and objectivity, and the research concluded that linguistic research moved from normative to The scientific and the objective study of the literary text evolved from the contextual curriculum to the descriptive approach.

Key words: interaction, theories, linguistics, text, literary

1. مقدمة:

أحدث وجود اللسانيات شيوع مجموعة من المناهج اللسانية التي تتناول النص الأدبي، لأن اللغة هي الموضوع الأساس الذي ينطلق منه المحلل لكشف ماهية وطبيعة ووظيفة النص، وكلها تسهم في تعميق وربط الصلة بين المرسل والمتلقي، من هذا المنطلق نطرح الإشكالية الآتية :

إلى أي مدى يمكن أن تلج المقاربات اللسانية المعاصرة عوالم النص الأدبي، وكيف تأثر اللسانيات بتنوع مدارسها واتجاهاتها في النص الأدبي، وللإجابة على هذه الإشكالية وضعنا جملة من الفرضيات أهمها:

- حللت النظرية البنوية بوسائلها وآلياتها النص الأدبي ؛
- حللت اللسانيات النصية النص الأدبي ، وتفرعت عنها جملة من المقاربات أهمها التداولية .

ومن خلال الإجابة على هذه الفرضيات فإن البحث يهدف إلى إبراز مدى تفاعل اللسانيات ونظرياتها الحديثة مع النص الأدبي، واستعمال الآليات المعاصرة لقراءته واستخراج كل ما في جوفه من معاني ودلالات، واتبع البحث المنهج الوصفي لمناسبته للموضوع .

2. النظرية البنوية والنص الأدبي

رائد اللسانيات فردينان دي سوسير، الذي حدد موضوع اللسانيات بدقة علمية وجعل اللغة موضوعها الجوهري حيث يقول: "إن موضوع اللسانيات الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها"[1]، ولقد جعل اللسانيات فرعا من فروع علم السيمياء[2] أو علم العلامات الذي يدرس جميع أنواع أنظمة التبليغ والتواصل "إنّ طبيعة العلامات الاعتباطية في اللغة واضحة للغاية "[3]، ليقدم دي سوسير مادة اللسانيات التي تتجلى بوضوح في اللسان البشري حيث يقول: "إن مادة اللسانيات تشمل كل مظاهر اللسان البشري سواء أتعلق الأمر بالشعوب البدائية أم الحضارية"[4] اعتنى دي سوسير باللسان، وخصه بالدرس اللساني، فأخرج كل تمظهراته الخاصة، سواء أكانت قديمة أم حديثة، ولم يهمل أي مظهر من مظاهره بالدرس، ليجعل بعد ذلك دي سوسير مهمة اللسانيات وصفا لجميع اللغات، واستخلاص قوانينها العامة وتحديد تعريفا لنفسها بنفسها، ولقد فرّق كذلك بين ثلاثة مصطلحات أساسية هي: اللسان، اللغة، والكلام، فاللغة عند دي سوسير تتواجد في عقول الناس أي أنها مجموع ما في عقول البشر جميعا، وكأنها بنك يجمع فيه كل اللغات، "إن اللغة توجد على شكل مجموعة من البصمات المستودعة في دماغ كل عضو من أعضاء الجماعة على شكل معجم تقريبا، حيث تكون النسخ المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد"[5] فهي أيضا كل متكامل ومنسجم وكيان اجتماعي يملكه جميع الناس، "وهي في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة ممارسة الكلام"[6]، إذن فهي المخزون لجميع أفراد الجماعة إنها مؤسسة قائمة بذاتها يعجز الفرد أن

يعبث بها فاللغة تتشكل من كلام الأفراد، ولا يقدر الفرد على تغييرها من حيث تتحد إرادته مع إرادة الجماعة وأعرافه وأنظمتها، فيكون مجال حريته محدودا[7]، أما اللسان فهو الذي بواسطته يستطيع الإنسان التعبير عما في فكره ونفسه من خواطر وإحساسات، ويتكون من ظاهرتين مختلفتين هي اللغة والكلام، حيث يقول دي سوسير في نفس السياق: "ما اللغة إلاّ جزء محدد منه بل عنصر أساسي"[8]، وأمّا الكلام فهو فعل ملموس ونشاط شخصي نستطيع أن نلاحظه من خلال الشفاهة أو الكتابة أو كما يعبر عنه دي سوسير بقوله: "إنه مجموع ما يقوله الأفراد"[9]، فالكلام هو إذن ما يعبر عنه الإنسان في حياته، وما يتلفظ به وما يمكن أن ينطقه ويصدر منه من ألفاظ وعبارات قد تعبر عن أحواله الداخلية أو الخارجية "فللكلام جانب شخصي وجانب اجتماعي ولا يمكن تصوّر الواحد بدون الآخر"[10]، ومما نستخلصه من هذه المقارنة، أن الكلام هو ما ينتج عن الفرد الواحد، واللسان ما يكون حاملا لطابع الشمولية والثبات، واللغة ما كانت نتاجا اجتماعيا "الكلام نتاج فردي، واللغة نتاج اجتماعي واللسان نتاج أجيال أو نتاج تراكمات، وجهود جماعية تكون خلاصتها الثبات والاستقرار في الأنظمة والقوانين اللغوية"[11]، فالظاهرة اللسانية حسب دي سوسير تشتمل على ثلاثة جوانب أساسية هي: اللسان، اللغة، الكلام، وقد اكتسبت هذه الجوانب صبغة عالمية في اللسانيات الحديثة و أبرز انطلاقة شكلت تحولا في مسار تحليل الأدب هي تلك الفكرة الصادرة عن دوسوسير والقائلة بضرورة التمييز بين الكلام (parole) واللغة (langage) ، فاللغة[12] هي مجموعة القواعد الموجودة عند كل الناس فهي (جماعية) أما الكلام فهو فردي ، وهذا ما يفسر لنا داخل مجال الإبداع حيث التنوع والتمايز والاختلاف ، خاصة إذا ما ربطنا هذه العناصر بالمفاهيم المشار إليها سابقا فعمل اللساني يكمن في وصف وتفسير اللغة وفق هذا المعطى أي تحديد ووصف وتفسير البنى اللغوية انطلاقا من مستوياتها الصوتية والمعجمية والتركيبية ، وعليه فالمقاربة اللسانية السوسيرية تتوسل البنى المتعددة للنص الأدبي وتدرسه دراسة وصفية علميو موضوعية ، من خلال إبراز المستوى الصوتي وما فيه من ايقاع وموسيقى وأصوات متعددة ومختلفة، ومن خلال إبراز المستوى الصرفي وما فيه من بنى مورفولوجية متعددة، ومن خلال إبراز المستوى النحوي والتركيبي، وما فيه من جمل وتراكيب بتعدد أشكالها.

3. النظرية الوظيفية التواصلية عند جاكبسون والنص الأدبي

أهم ما جاء به العالم اللساني رومان جاكبسون نظريته في وظائف اللغة والتي تعتبر من ثمرات النظرية الاتصالية التي تعد قاعدة الخطاب أو ما يصطلح على توصيفه بالإبلاغ، وقد توصل إلى أن للغة ست وظائف أساسية ومختلفة تتطلب ستة عناصر وهي على التوالي: المرسل، المرسل إليه، قناة الاتصال، الرسالة، شفرة الاتصال، والمرجع، إن هذه العناصر الستة تقوم بدورها بفعل وظائف ستة، فإذا كانت عملية الاتصال تهدف إلى توضيح موقف المرسل من الرسالة اللغوية، كانت الوظيفة تعبيرية، وأما إذا كان الهدف التأثير على المتلقين فإن هذه الوظيفة الإفهامية، وأما إذا

كان هدف العملية تقوية الاتصال والصلات الاجتماعية أو لفت انتباه المرسل إليه فهي وظيفة تنبيهية وتسمى الوظيفة الانتباهية، والتي تحافظ على العملية الاتصالية، وتجعلها دائمة ومستمرة، وأما إذا كان الهدف من العملية التواصلية إبراز الرسالة والتركيز على شكلها فتكون بذلك الوظيفة وظيفة شعرية لأنها تبرز شكل الرسالة الإبداعي، أما إذا كان هدف الرسالة هو فك شعرية اللغة أو شرح بعض الكلمات المعجمية فهي وظيفة ما وراء اللغة أو الوظيفة المعجمية، أما إذا كانت الرسالة تركز على ما هو موجود خارجيا، وتحيل على أشياء بعينها فهي بذلك تولد الوظيفة المرجعية. نستطيع الاستنتاج من كل ما سبق أن رومان جاكسون، استطاع أن يبرز مكامن هذه العملية التواصلية ومناطق قوتها، ويبرز كل ما من شأنه أن يقويها ويفعّلها ويجعلها دائمة ومستمرة.

4. النظرية التوليدية التحويلية عند تشومسكي والنص الأدبي

ظهرت هذه النظرية على يد أفرام نعوم تشومسكي وقد عرّف عدة مبادئ في هذه النظرية وهي كمايلي:

4-1-اللغة:

لقد عرّفها تشومسكي على أنها مجموعة من الجمل لها شكل نطقي خاص "من الآن فصاعدا سأعد اللغة مجموعة من الجمل متناهية أو غير متناهية من الجمل، كل جملة طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر"[13]. فاللغة حسب تشومسكي جمل طولها غير محدود وهي جمل نحوية صحيحة ومقبولة.

4-2-الكفاءة:

إن الكفاءة في نظر تشومسكي تكمن في مجموع المعارف المكتسبة والباطنية، ومجموع القواعد المخزنة في ذهنه ، فالجميع يملك كفاءة اللغة أو كما عبّر عنها هي: "المعرفة اللغوية الباطنية للفرد أي مجموعة القواعد التي تعلمها"[14]. أما الأداء فهو التطبيق الشخصي والخاص لهذه اللغة إنه "الاستعمال الفعلي للغةفي المواقف الحقيقية"[15]. فالكفاءة إذن هي نظام يحكم السلوك الفعلي للإنسان، وهي معرفة الفرد بتواعد اللغة، وأما الأداء فهو الإنجاز لتلك المعرفة.

4-3-التوليد والتحويل:

إن التوليد هو القدرة التي يمتلكها الإنسان لتخزين وفهم عدد غير محدود من الجمل، إنها قدرة إبداعية "إننا بإتباع قواعد نحوية يمكننا تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة:[16] . أما التحويل فهو إمكانية المتكلم تحويل البنى العميقة والكامنة للغة إلى بنى سطحية، فتشومسكي يميز بين نوعين من الجمل وهما: الجملة النواة، وهي الجملة الأساسية أو هي البنية العميقة، والجملة المحوّلة التي تكون مركبة ومعقدة، " ووصف الجملة النواة بأنها بسيطة، وتامة، وصريحة، وايجابية، ومبنية للمعلوم، والجملة المحوّلة بأنها تنقصها خاصة من خواص الجملة النواة وتكون إما استفهاما أو أمرا

أو نفيا أو معطوفة أو متبعة أو مدمجة"[17]، فقد وضح تشومسكي كيف يمكن أن تتحول الجملة النواة إلى عدد من الجمل المحولة التي قد تكون استفهاما أو أمرا، أو نفيا، إضافة الى كل ذلك تناول تشومسكي مفهوم البنية السطحية الظاهراتية والبنية العميقة أو الدلالية فالنص له شكل ومغزى / مبنى ومعنى...

5. النظرية اللسانية النصية والنص الأدبي

5-1- عند رولان بارث:

النص عند بارث نسيج مترابط، من الكلمات تسلسلت لتكون نصا، حيث يقول في كتابه لذة النص "يبدو أن الكلام سيبقى خاضعا للهمسة، كما يبدو أن الكتابة ستبقى خاضعة للصمت، ولتميز الإشارات، وعلى كل حال فإن ثمة معنى سيبقى دائما لكي تحقق اللغة به متعة تكون خاضعة لمادتها"[18]، فاللغة إذن تتشكل من موسيقى أصوات، تقدم معنى، و لقد تطرق رولان بارث إلى النص من خلال تقديم نظرة شاملة له، وذلك من خلال توزيع جديد للغة أو انقطاع وإعادة تركيب، أو هي عملية هدم السابق، والكائن وهدم القالب الجاهز، وإعادة بناء نص جديد خاص وشخصي في طابع الإبداعية فنراه يقول في هذا السياق: "لقد تمت إعادة توزيع اللغة، وإن إعادة التوزيع هذه إنما تتم بالقطيعة دائما"[19]، وفرق بارث بين النص والأثر الأدبي ، فلا يسوي بينهما، لأن النص حسبه يستطيع تشكيله جميع البشر، ولكن الأثر الأدبي لا يقدر على تشكيله، إلا من كانت له كفاءة وقدرة وأداء لأنه نص متميز، نص مختلف، نص يرغب بك، ويجعلك ترغب به أو كما يجب على النص الذي تكتبونه لي أن يعطيني الدليل بأنه يرغبني"[20]، فالكاتب للأثر الأدبي، يجب حسب رولان بارث أن يكون مجنونا وعصابيا، وكتاباته أو أثره الأدبي ما هو إلا ضرب من السحر، والجنون والخيال، "إن كاتب سيقول إذا: مجنونا أستطيع أن أكون، ومعاني لا يليق بي أن أكون، وأما أن أكون عصابيا، فأنا كذلك"[21]. لقد جعل رولان بارث الممارسة النصية وفعل الكتابة والقراءة أحداثا يجعلك تحس بنشوة ومتعة ولذة في الكتابة أو القراءة أو فيهما معا، أو في مباشرة هذا النص الزئبقي "إننا باللغة لمغمورون، مثلنا في ذلك مثل صغار الأطفال، إنهم لا يرفض لهم طلب أبدا، أو لا يلومون على شيء فعلوه أبدا، أو في أسوأ الأحوال لا يسمح لهم أبدا، وإن هذا رهان لابتهاج متواصل، ورهان للخطة يخنق فيها الإفراط في الكلام لذة لكلام، فيقع في المتعة"[22] ، فالنص إذن عند رولان بارث فيه من الحيوية والنشاط ما يجعله كيانا وكائنا حيا .

5-2- عند جوليا كرستيفا:

عرّفت جوليا كرستيفا النص وجعلته جهازا يقوم بدور التوزيع والتنظيم، وكذلك الاختيار والتواصل، وقد ساهمت الباحثة في تحديد منهجا جديدا للنص وساهمت في تطبيق النظريات اللسانية على النصوص من خلال دراساتها للسيمائيات فهي تجعل للنص حدودا وآفاقا كالإنتاجية

والتمعني، وخلقة النص، والتناص، تخلق النص[23] إن تلك الخصائص والنقاط التي وضعتها جوليا كرستيفا هي الممارسة الفعلية لدراسة النص الأدبي ومباشرته بطريقة علمية ومنهجية يمكن القول إذن إن النص والخطاب مفهومان متعالقان، وهما معقدان، ولعل دليلنا في ذلك، هذا الاختلاف الواضح لدى الدارسين في مجال النص أو الخطاب، لذلك فإننا نرى جوليا كرستيفا تقدم نوعين من النصوص للنص الواحد فهو في الآن نفسه شكل وبنية، وسطح ظاهر، وهو نص كذلك باطني تكاثري، يولد دلالات متعددة، فالقارئ هو الذي يخرج مكوناته ويستخرج ما في أعماقه من تأويلات فنراه يحلل الإشارات ويفك شفرة العلامات "النص عندها نوعان: النص الظاهر "**phénotexe**" وهي بنيته التي هي موضوع البنوية، والنص التوالدي "**génotext**" وهو النص المحلل، والتوالدية فتحظى البنية لتصفها في إطار أعمق منها، هو مجموعة إشارات وعلامات بينها، تهدمها وتعيد بناءها من جديد"[24] ولقد طرحت الباحثة مصطلحا جديدا وهو التدليل "**signifiance**" وهو المعنى الكامن الذي يتوصل إليه المتلقي من خلال وجود الدال، والمدلول، والقواعد النحوية إنه "نوع من الحفر العمودي في مساحة النص، لأنها تمييز وتنضيد ومواجهة تمارس داخل اللغة على خط الذات المتكلمة سلسلة دالة تواصلية مشكلة نحويا"[25] ، ولقد عرّفت جوليا كريستيفا مصطلحا آخر وطرحته في ميدان اللسانيات وهو "الدلالية" وقدمت مفهومها على أنها فعل تهديم وإعادة بناء، وفعل إبداع وخلق لنصوص جديدة منطلقة من النص الأساس أو النص الأول "هو إجراء يقوم بالتشكيك في قوانين الخطاطات القائمة ويقدم أرضية صالحة لإسماع صوت خطاطات أخرى جديدة"[26]، وكأنها تجعل الدلالية بناء جديد فوق البناء السالف وحلّة حديثة تلبس الحلة السابقة وكتابات جديدة تمسح الكتابات القديمة.

3-5-عند روبرت دي بوجراند:

حاول روبرت دي بوجراند أن يقيم نظرية خاصة بالنص من خلال دراسته دراسة علمية موضوعية، تحيط به من كل جوانبه الشكلية والدلالية، وحاول الكشف عن الأنظمة التي تجعل كل واحد منها كيانا قائما بذاته متميزا عن غيره من النصوص، ووضع لذلك مجموعة مبادئ وهي على التوالي:

- **الاتساق:** وهو الترابط الشكلي للنص أو ما يجعل سطح النص مترابطا ترابطا يفضي أوله إلى آخره بواسطة وسائل لسانية معينة .

- **الانسجام:** وهو الترابط المفهومي أو الضمني أو العلائقي للنص، والكيفيات التي بها صورت المعاني من خلال التدرج الرصفي والبنى المنطقية التي ركبت النص دلاليا.

- **القبول أو المقبولية:** وهو ما مدى قبول المتلقي لهذا النص ومدى استحسانه له، أو ما مدى رضى المرسل إليه عن الرسالة.

- **القصدية:** وهو غاية الباث أو المرسل من وراء دراسته للنص، أو غاية الكاتب من وراء عمله المترابط شكليا وضمنيا.

- **التناص:** وهو تفاعل النص الجديد مع نصوص سابقة، أو هو جملة التراكمات النصية في ذهن المبدع أو الباث التي تظهر في النص .

- **الإعلامية:** وهو مجموع الأخبار التي يرسلها الباث إلى المتلقين.

- **الموقفية:** تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه ، فهو يتعلق بالظروف السياقية التي تجعل الكاتب يوجه نصه للتلاؤم مع حالة مقام معين.

6.النظرية الأسلوبية عند شارل بالي والنص الأدبي :

أدى تزاوج اللسانيات بالنص الأدبي إلى توليد الأسلوبيات ، خاصة مع تلميذ سوسير، شارل بالي مؤسس الأسلوبيات التعبيرية، والتي أفضت إلى تعدد الأسلوبية و اختلاف اتجاهاتها فالأسلوبية تتناول النص الأدبي وتحلله من مستويات متعددة، أولها المستوى الصوتي، ويدرس فيه الأصوات بأنواعها، وأما المستوى الثاني فهو المستوى الصرفي، وتدرس فيه بنية الكلمة المورفولوجية، وأما المستوى الثالث، فهو المستوى التركيبي والنحوي ، فيدرس فيه التركيب الجملي، أما المستوى الرابع فهو المستوى الدلالي، فيدرس فيه دلالة اللفظة المعجمية، ودلالتها في السياق، أما المستوى الخامس، فهو مستوى العدول والانزياح، فيدرس فيه مسافة التوتر بين الدوال والمدلولات أو الشيء الذي يخلق صدمة في أفق انتظار المتلقين[27].

7.النظرية التداولية والنص الأدبي

إذا كانت عملية التبليغ لها عدة فروع وعدة أشكال، فإن التداولية هي الفرع العلمي من مجموعة العلوم اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بوجه عام، إنها ميدان من ميادين اللسانيات يدرس كيفية فهم الناس وإنتاجهم لفعل تواصلي أو فعل كلامي في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد، وقد عرّف فانديك التداولية، ووصفها بأنها علم، وبأنها تسهم بشكل فعال في التفاعل الاجتماعي، والتواصل يعني التداولية بوصفها علما ، يحلل الأفعال اللغوية، ووظائف المنطوقات اللغوية، وسماتها في عملية الاتصال بوجه عام، انطلاقا من كون المنطوقات اللغوية تهدف إلى الإسهام في الاتصال، والتفاعل الاجتماعي[28] ، ففانديك يعد التداولية ذلك العلم الذي يبحث في المنطوقات الهادفة إلى إقامة تفاعل اجتماعي، ويبحث عن الوسائل الوسائط والكيفية التي تجعل من ملفوظ ما مساهما فاعلا وفعّالا في حل الشفرات المبهمة، وفك الطلاسم، وفتح جسور التواصل بين الباث والمتلقين ولقد قدم العديد من الباحثين تعريفات كثيرة للتداولية منها "التداولية هي دراسة الأسس التي نستطيع بها أن نعرف مجموعة من الجمل الشاذة anomalons تداوليا أو تعد في

الكلام المحال، وعلى الرغم من أن إيضاح الشذوذ في هذه الجمل قد يكون سبيلا جيدا للوصول إلى نوع من الأسس التي تقوم عليها التداولية فهو لا يعد تعريفا شاملا لكل مجالاتها"[29]، فقد تعرفنا التداولية على الكلام الذي لا يتماشى والاستعمالات اليومية أو الواقعية، وهي التي ندرس من خلالها الأسس المبرزة لكيفية استعمال اللغة داخل المجتمع شاذها وعاديها، فهي تدرس كل أنماط استعمال اللغة ودلالاتها الصريحة والضمنية، المباشرة وغير المباشرة، ليعرفها بعضهم من ناحية وظيفية "هو نوع من التعريف يحاول أن يوضح جوانب التركيب اللغوي بالإحالة إلى أسباب غير لغوية "[30]، لكن هذا التعريف يجعلنا نخلط بين عدة مجالات للدراسة وعدة فروع علمية أخرى كعلم الاجتماع اللغوي وعلم اللغة النفسي، فهذا تعريف قاصر ناقص لا يبرز ولا يبدي كل حقائق التداولية، ولعل هذه الصعوبة القائمة في تحديد تعريف جامع مانع يكمن في تشعبها لعدة حقول ومجالات، وقد تتشابك وتتقاطع مع علم الدلالة في دراستها للمعنى فهي كما عرفها بعض الباحثين "دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، فإذا اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق، فإن التداولية تعنى بما وراء ذلك مما لا تنطبق عليه هذه الشروط "[31]، فتتجاوز الدلالة الصريحة إلى ما وراء القول للوصول إلى المعنى، بل تتجاوب مع تفاعل السامع والمتكلم وتواطئهما لحدوث عملية الاتصال بكل نجاح، لذلك فقد عرّفها بعضهم على أنها " دراسة جوانب السياق التي تشفر شكليا في تراكيب اللغة وهي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل[32]، فالتداولية تبحث في كل ما من شأنه أن يقرب الفهم والتواصل بين المتكلم والسامع، فهي تبحث في السياق وفي كل الظروف الاجتماعية والثقافية والتاريخية والزمنية والمكانية التي يمكن أن تساعد المستمع، وتحرك كفاءته ومقدرته للوصول إلى معاني المتكلم ومقاصده وأغراض كلامه، فالسامع يسعى إلى كسر شفرة المعنى الموجود في ذهن المتكلم وهو في حالة كمون إلى معنى موجود بالقوة، فالتداولية تسعى إلى صناعة معنى يكون متداولا بين المتكلم والسامع، فالكل يتعاون ويتعاضد لإبراز المعنى الكامن في كلام ما من خلال كل السياقات المادية والاجتماعية واللغوية، ونظرا لارتباط التداولية بعدة ميادين ومجالات فإننا نرى أوستين يهتم بالتعامل اللغوي داخل المؤسسة الاجتماعية، ويرى أنها اتجاه تتلاقى فيه على وجه معين ميادين من المعرفة المختلفة، أهمها علم اللغة الخالص والبلاغة والمنطق وفلسفة اللغة، وكذلك علم الاجتماع وغيرها من العلوم[33]، فالتداولية حقل شامل لمجموعة من العلوم والمعارف تتضافر كل هذه المعارف لتوصل المعنى، فهدفها هو الاتصال والتبليغ وما كل تلك الحقول إلا وسيلة تنجح العملية الاتصالية التواصلية، ولعل التداولية بهذا المفهوم تنقلنا إلى المفهوم الذي أشار إليه محمد صلاح الدين الشريف والمستوحي من مفهوم بيرس المرتكز على المنطق حيث يقول: " تقوم البراغماتية على تصنيفها داخل نظام عام وله جذوره في مشروع (بيرس) الهادف إلى وضع علامية ودلائلية (سيميوطيقا) تكون نظرية منطقية عامة"[34]، فمفهومها ينطلق من أنها طريقة في التفكير تبحث عن معنى الإشارات والعلامات وكل روابط الاتصال اللغوية

وغير اللغوية، مستندة في ذلك على المنطق وإعمال العقل، وربط الدال بالمدلول، فهي تنقل الواقع، وتكون وسيلة من وسائل الاتصال وهي تهدف إلى إرساء قواعد عامة للفعل وعلاقته بالمحيط والواقع وربطه بالفكر لهدف التواصل والاتصال والتبليغ.

خاتمة:

أثرت اللسانيات بتنوع مدارسها واتجاهاتها في النص الأدبي، وأحدثت ثورة في صلب الدراسات النقدية التي تدور حول النص، وعليه توصل البحث إلى جملة من النتائج وهي:

- انتقال البحث اللغوي من المعيارية إلى العلمية والموضوعية
- النص الأدبي المتميز نص مفتوح يقرأ في كل زمان ومكان، ووفق مجموعة من المقاربات
- فتحت اللسانيات المعاصرة مجالا وأفقا جديدا لدراسة النص الأدبي.
- انفتحت دراسة النص الأدبي وتحليله على كل المناهج والمقاربات، وفتحت اللسانيات آفاقا جديدة حتى وصلنا إلى التداولية، وبعدها مقاربته وفق اللسانيات المعرفية المعاصرة التي تشمل مجموعة غير منتهية من التخصصات، وعليه انتقل البحث من التخصص الدقيق المحصور إلى الدراسة العلمية الموسوعية الموسعة الشاملة .

الهوامش:

[1] فردينان دوسوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وآخرون، ،الدار العربية للكتاب (د.ت) تونس، ص27.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية،ط2،الجزائر، 2005، ص122 .

[3] م،ن، ص 22 .

[4] م،ن، ص،ن.

[5] م ن، ص123، وانظر دروس في الألسنية العامة، ص27.

[6] م.ن ص123، وانظر دروس في الألسنية العامة، ص36.

[7] م.ن ص123، وانظر دروس في الألسنية العامة، ص36.

[8] دروس في الألسنية العامة ص34.

[9] أحمد مومن: اللسانيات، نشأة وتطور، ص124

[10] دروس في الألسنية العامة ،ص37.

[11] م.ن ص16.

[12] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور ، ص209.

[13] م.ن، ص210.

[14] م.ن، ص210.

[15] م.ن، ص206.

[16] م.ن، ص207.

[17] م،ن ص19.

[18] رولان بارث: لذة النص، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط2،بيروت، 2002.

[19] م.ن، ص27.

[20] م.ن، ص31.

[21] م.ن ، ص ن.

[22] م.ن ، ص ن.

[23] رابح بوحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر،(د.ت)،ص87.

[24] م.ن،ص88.

[25] جوليا كريستيفا: علم النص،ترجمة فريد الزاهي،مراجعة عبد الجليل ناظم،دار طوبقال، ط1،المغرب،ص09، 10.

[26] م،ن، ص11.

[27] ميكائيل رفاتير: معايير تحليل الأسلوب، ترجمة، حميد لحميداني ،ط 1 – دراسات سال، المغرب، 1993 ،ص 16

[28] عبد القادر المهيري وآخرون: أهم المدارس اللسانية منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، ط2، تونس، 1990، ص95.

[29] م،ن،ص96

[30] م.ن، 99.

[31] محمد مفتاح: مجهول البيان، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 1990، ص118.

[32] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت،1987 ص49.

[33] الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية،ترجمة محمد يحياتن،ط1،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992،ص11.

[34] طه عبد الرحمان: تكامل المعارف، اللسانيات والمنطق، مجلة دراسات سيميائية أدبية، العدد الثاني، المغرب،(87،88)، ص120.